Journal of Total Science
Volume (9), Issue (33), (Dec. 2024)
ISSN: 2518-5799

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (9)، العدد (33)، ([ديسمبر2024)
ردمد: 2518-5799

"القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي ودلالاتها الحضارية"
"دراسة وصفية تحليلية"

مفيدة محمد حسن بودربالة
قسم الفنون، كلية الآداب، جامعة الزاوية، ليبيا

"Aesthetic values in local traditional pottery and their cultural significance"
"A descriptive and analytical study"

Mufida Mohamed Hassan Boudrabala
Department of Arts, College of Arts, University of Zawia, Libya
mhbmofe@gmail.com

تاريخ الاستلام:2024/10/16 –تاريخ المراجعة:2024/11/13– تاريخ القبول: 2024/12/14– تاريخ للنشر2024/12/28

الملخص:

يتناول هذا البحث القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي ودلالاتها الحضارية، من خلال دراسة وصفية تحليلية تهدف إلى الكشف عن العلاقة بين البنية الشكلية للعناصر الخزفية والسياق الثقافي الذي أنتجها، وينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن الخزف التراثي لا يُعد مجرد منتج وظيفي، بل يمثل بنية جمالية–حضارية متكاملة تتداخل فيها القيم التشكيلية مع الدلالات الرمزية والثقافية.

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل نموذجين من الخزف التراثي المحلي، تم اختيارهما وفق معايير ترتبط بدرجة التعقيد الزخرفي والبنية التكوينية، وتم تحليل العناصر الجمالية المتمثلة في التوازن، الإيقاع، التكوين، والتنوع اللوني، إضافة إلى دراسة الخصائص التقنية المرتبطة بعمليات التشكيل والحرق والتزجيج، وربطها بالدلالات الحضارية الكامنة في البنية الزخرفية.

وتوصل البحث إلى أن القيم الجمالية في الخزف التراثي تنبع من تفاعل العناصر الشكلية مع التقنية والبيئة الثقافية، وأن الزخارف لا تؤدي وظيفة تزيينية فقط، بل تحمل أنظمة رمزية تُجسّد الهوية الفكرية والاجتماعية للمجتمع المنتج، كما أظهرت النتائج وجود تطور في الذائقة الجمالية

من البساطة الوظيفية إلى التعقيد الزخرفي، بما يعكس دينامية ثقافية داخل الإنتاج الخزفي المحلي.

ويخلص البحث إلى أن الخزف التراثي المحلي يمثل وثيقة بصرية للذاكرة الحضارية، يمكن من خلالها قراءة الثقافة عبر الشكل الفني، مما يعزز أهمية دراسته ضمن مقاربات تحليلية تجمع بين الجمالي والدلالي.

الكلمات المفتاحية: الخزف التراثي، القيم الجمالية، الدلالات الحضارية، التحليل الوصفي، الفنون التطبيقية.

Abstract:

This study examines the aesthetic values of local traditional pottery and their cultural significance through a descriptive and analytical approach aimed at revealing the relationship between the formal structure of ceramic objects and their cultural context. The study is grounded in the assumption that traditional pottery is not merely a functional product, but rather an integrated aesthetic-cultural structure in which visual values and symbolic meanings are deeply interwoven.

The research adopts a descriptive-analytical methodology by examining two selected samples of local traditional pottery, chosen according to criteria related to structural complexity and decorative density. The analysis focuses on aesthetic elements such as balance, rhythm, composition, and color variation, alongside technical aspects including shaping, firing, and glazing processes, in order to interpret their underlying cultural meanings.

The findings indicate that aesthetic values in traditional pottery emerge from the interaction between formal elements, technical processes, and cultural environment. Decorative patterns are not merely ornamental features but function as symbolic systems reflecting the social and intellectual identity of the producing community. The study also reveals a clear evolution in aesthetic perception, moving from functional simplicity toward decorative complexity, reflecting a dynamic cultural development within local ceramic production.

The study concludes that local traditional pottery functions as a visual document of cultural memory, through which cultural identity can be interpreted via artistic form, highlighting the importance of analyzing pottery through an integrated aesthetic and cultural perspective.

Keywords: Traditional pottery, aesthetic values, cultural significance, descriptive analysis, applied arts.

المحور الأول: الإطار العام للبحث

مقدمة:

يُعدّ الخزف من الفنون التطبيقية التي ارتبطت بتاريخ الإنسان منذ الحضارات القديمة، بوصفه نتاجًا ماديًا يجمع بين الحاجة الوظيفية والتعبير الجمالي في آنٍ واحد، وقد تطوّر هذا الفن عبر العصور ليعكس خصائص البيئات المحلية التي نشأ فيها، من خلال توظيف المواد الأولية المتاحة، وتشكيلها وفق خبرات حرفية متوارثة، الأمر الذي جعل منه أحد أهم الشواهد المادية على التفاعل بين الإنسان وبيئته الثقافية والاجتماعية.

وتتجلى أهمية الخزف التراثي المحلي في كونه ليس مجرد منتج حرفي، بل بنية جمالية تحمل في طياتها قيماً تشكيلية وزخرفية تُبرز الذوق العام والوعي الجمالي للمجتمعات المنتجة له، إذ تتنوع هذه القيم بين التوازن والتناسب والإيقاع البصري والتنوع اللوني، وهي عناصر تسهم في بناء الهوية الشكلية للعمل الخزفي، وتمنحه خصوصيته داخل سياقه الثقافي (Rice, 2015, P64).

كما أن الزخارف والعناصر الشكلية في الخزف التراثي لا تُفهم بوصفها عناصر تزيينية فحسب، بل بوصفها منظومة رمزية تتداخل فيها الدلالات الثقافية والاجتماعية، حيث تُعبِّر هذه الرموز عن أنماط التفكير الجمعي، ومظاهر المعتقدات، والتصورات الجمالية السائدة داخل المجتمع المنتج لها، مما يجعلها وثيقة بصرية ذات بعد حضاري متجذر.(مجيد، 2022، ص442)

وفي السياق نفسه، يشير التحليل التقني والجمالي للخزف إلى أن عمليات التشكيل والحرق والتزجيج لا تنفصل عن البعد الجمالي، بل تسهم في إنتاج قيم تشكيلية جديدة تتحدد من خلالها هوية القطعة الخزفية، سواء من حيث الملمس أو اللون أو البنية السطحية، وهو ما يمنح الخزف طابعًا مركبًا يجمع بين التقنية والجمال والدلالة.(Rye, 1981, P112)

كما تُظهر الدراسات الحديثة في مجال الخزف أن التقاليد المحلية في صناعة الفخار والخزف تمثل امتدادًا حضاريًا يعكس استمرارية المعرفة الحرفية عبر الأجيال، حيث تتجسد في هذه المنتجات عناصر الهوية الثقافية المرتبطة بالبيئة والمجتمع، بما يجعلها مجالًا مهمًا للدراسة التحليلية والفهم الجمالي العميق.(Freestone & Gaimster, 1997, P145)

وتأسيسًا على ما سبق، يتضح أن دراسة الخزف التراثي المحلي من منظور جمالي وتحليلي تفتح المجال لفهم العلاقة بين الشكل والمضمون، وبين البنية الفنية والدلالة الثقافية، وهو ما يمنح هذا المجال البحثي أهمية خاصة في قراءة التراث المادي بوصفه حاملًا للمعنى الحضاري.

مشكلة البحث:

يمثّل الخزف التراثي المحلي أحد أهم المظاهر المادية التي تكشف تفاعل الإنسان مع بيئته الثقافية والاجتماعية، حيث لا يقتصر دوره على الوظيفة النفعية فحسب، بل يمتد ليشكل حاملًا لقيم جمالية ودلالات حضارية تُجسِّد خصوصية الهوية المحلية وامتدادها التاريخي، ومع ذلك فإن كثيرًا من الدراسات التي تناولت الخزف ركزت على الجوانب التقنية أو التاريخية أو الوصف العام للمنتج الخزفي، في حين ظل تحليل القيم الجمالية بوصفها بنية متكاملة وما يرتبط بها من دلالات حضارية بحاجة إلى مزيد من التعمق والدراسة.

وتشير الأدبيات إلى أن العناصر التشكيلية في الخزف، مثل الزخرفة واللون والبناء الشكلي، تمثل منظومة بصرية ذات بعد رمزي يعكس الوعي الجمالي والثقافي للمجتمع، غير أن تناولها غالبًا ما يتم بصورة منفصلة عن سياقها الحضاري الشامل، كما أن الدراسات التقنية للخزف تركز في الغالب على عمليات التشكيل والحرق بوصفها إجراءات إنتاجية، دون ربط كافٍ بينها وبين القيم الجمالية الناتجة عنها.

ومن هنا يرى الباحث أن الحاجة ما زالت قائمة لدراسة القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي وتحليل دلالاتها الحضارية في إطار تكاملي يجمع بين البنية الشكلية والمعنى الثقافي، ومن ثم تتحدد مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي: **ما القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي، وما الدلالات الحضارية التي تعكسها؟**، وفي ضوء هذا السؤال تتفرع منه التساؤلات الآتية:

1- إلى أي مدى تتجلى القيم الجمالية في البنية الشكلية للخزف التراثي المحلي من حيث اللون والزخرفة والتكوين؟
2- كيف يمكن تفسير الدلالات الحضارية التي تحملها العناصر الجمالية في الخزف التراثي المحلي ضمن سياقها الثقافي؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول الخزف التراثي المحلي بوصفه أحد أهم المكونات المادية للثقافة البصرية، والذي لا يقتصر على وظيفته النفعية، بل يتجاوز ذلك ليعكس منظومة

من القيم الجمالية والدلالات الحضارية المرتبطة بالهوية الثقافية للمجتمع، ومن هذا المنطلق يكتسب البحث أهميته من كونه يسعى إلى إعادة قراءة هذا النوع من الفنون التطبيقية من منظور جمالي–تحليلي يربط بين الشكل والمضمون، وبين البنية الفنية والسياق الحضاري الذي نشأ فيه.

وتتجلى **الأهمية العلمية** للبحث في كونه يساهم في تعميق الفهم النظري لمفهوم القيم الجمالية في الخزف، من خلال تحليل عناصره التشكيلية مثل اللون والزخرفة والبناء التركيبي، وربطها بالدلالات الثقافية والحضارية، كما يقدم معالجة تحليلية تسهم في توسيع الإطار المعرفي للدراسات الفنية المتعلقة بالخزف، خاصة في السياق المحلي الذي لا يزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتوثيق الأكاديمي.

أما **الأهمية التطبيقية**، فتتمثل في إمكانية الاستفادة من نتائج هذا البحث في مجالات التعليم الفني والتصميم والإنتاج الحرفي، من خلال إبراز القيم الجمالية الكامنة في الخزف التراثي المحلي، وإعادة توظيفها في الأعمال المعاصرة بما يحافظ على الهوية الثقافية ويعزز استمرارية الموروث الفني، كما يمكن أن يسهم البحث في دعم الوعي بأهمية التراث الخزفي بوصفه جزءًا من الذاكرة الحضارية للمجتمع.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي وتحليل دلالاتها الحضارية، من خلال مقاربة وصفية تحليلية تسعى إلى الكشف عن العلاقة بين البنية الشكلية والبعد الثقافي لهذا النوع من الفنون التطبيقية، وفي ضوء ذلك تتحدد أهداف البحث في الآتي:

1- التعرف على القيم الجمالية المتجلية في الخزف التراثي المحلي من حيث عناصر التكوين مثل اللون، والزخرفة، والإيقاع، والبناء الشكلي، بما يتيح فهم الخصائص الجمالية المميزة له.
2- تحليل الخصائص الشكلية والبنائية في نماذج مختارة من الخزف التراثي المحلي، للكشف عن أساليب التشكيل ومدى ارتباطها بالسياق البيئي والثقافي الذي نشأت فيه.
3- الكشف عن الدلالات الحضارية التي تحملها العناصر الزخرفية والتشكيلية في الخزف التراثي المحلي، بوصفها انعكاسًا للهوية الثقافية والقيم الاجتماعية للمجتمع المنتج له.

4- إبراز العلاقة التكاملية بين الجانب الجمالي والبعد الحضاري في الخزف التراثي المحلي، وبيان كيفية تداخل الشكل الفني مع المعنى الثقافي في بناء الهوية البصرية للعمل الخزفي.
5- تقديم إطار تحليلي يمكن الاستفادة منه في الدراسات المستقبلية المتعلقة بالخزف التراثي المحلي، بما يسهم في دعم البحث العلمي في مجال الفنون التطبيقية وإثراء الجانب المعرفي فيه.

حدود البحث:

يتحدد هذا البحث بمجموعة من الحدود العلمية والمنهجية التي تُسهم في ضبط نطاق الدراسة وتوجيهها نحو تحقيق أهدافها، وذلك على النحو الآتي:

- **الحدود الموضوعية:** يقتصر البحث على دراسة **القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي** وتحليل **دلالاتها الحضارية**، من خلال التركيز على العناصر التشكيلية المتمثلة في اللون، والزخرفة، والبناء الشكلي، والإيقاع البصري، دون التوسع في دراسة الفنون التطبيقية الأخرى أو المواد الفنية غير الخزفية.
- **الحدود المكانية:** يرتبط البحث بمفهوم **الخزف التراثي المحلي** في البيئة التي ينتمي إليها موضوع الدراسة، بوصفه نتاجًا ثقافيًا يعكس الخصوصية المحلية، دون الخوض في دراسة شاملة لكل البيئات الجغرافية المختلفة، وإنما بما يخدم الإطار التحليلي للعينات المختارة.
- **الحدود الزمنية:** يتناول البحث الخزف التراثي من منظور تطوري عام دون التقيّد بفترة زمنية محددة بشكل صارم، مع الاستفادة من النماذج التراثية الممتدة عبر مراحل زمنية مختلفة بما يحقق الفهم التحليلي للقيم الجمالية والدلالات الحضارية.
- **الحدود المنهجية:** يعتمد البحث على **المنهج الوصفي التحليلي** في دراسة العينات المختارة، من خلال وصف الخصائص الشكلية للخزف وتحليلها لاستخلاص القيم الجمالية والدلالات الحضارية المرتبطة بها، دون استخدام مناهج تجريبية أو إحصائية موسعة.

مصطلحات البحث:

يشتمل هذا البحث على مجموعة من المصطلحات الأساسية التي تمثل الإطار المفاهيمي للدراسة، وقد تم تحديدها إجرائيًا بما يتناسب مع سياق البحث وأهدافه، على النحو الآتي:

- **القيم الجمالية:** "هي مجموعة الخصائص والعناصر التشكيلية التي تمنح العمل الخزفي بعدًا إدراكيًا بصريًا، مثل التوازن، والتناسب، والإيقاع، واللون، والتناغم بين العناصر الزخرفية، بما يسهم في تشكيل الاستجابة الجمالية لدى المتلقي، وتشير بعض الدراسات إلى أن القيم الجمالية في الخزف ترتبط بالبنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع المنتج لها.(العمري، 2023، ص231)
- **الخزف التراثي المحلي:** "هو النتاج الخزفي الذي أبدعته البيئات المحلية عبر تراكم خبرات حرفية تقليدية، اعتمادًا على مواد أولية متوفرة محليًا وأساليب تشكيل وزخرفة متوارثة، ويعكس هذا النوع من الخزف الهوية الثقافية للمجتمع وخصوصيته الحضارية.(الحيّان، 2024، ص270)
- **الدلالات الحضارية:** "هي المعاني الرمزية والثقافية التي تحملها العناصر الشكلية والزخرفية في الأعمال الخزفية، والتي تُبرز أنماط التفكير الجمعي، والقيم الاجتماعية، والمعتقدات السائدة في المجتمع، وتظهر من خلال الرموز والتكوينات البصرية": (Grabar, 1992, P82).
- **الخزف:** "هو أحد الفنون التطبيقية الذي يعتمد على تشكيل الطين ومعالجته بالحرق ليصبح مادة صلبة ذات خصائص وظيفية وجمالية، ويُعد وسيلة تعبير فني تجمع بين الاستخدام العملي والقيمة الجمالية.(Rice, 2015, P60)

المحور الثاني: الإطار النظري للبحث

أولًا: القيم الجمالية في الخزف

يمثل مفهوم القيم الجمالية في الخزف أحد المداخل الأساسية لفهم هذا الفن بوصفه ممارسة تشكيلية تجمع بين البعد الوظيفي والبعد الجمالي، حيث لا يقتصر العمل الخزفي على كونه منتجًا ماديًا، بل يتجاوز ذلك ليصبح بنية بصرية تتشكل من خلال تنظيم العلاقات بين العناصر التكوينية داخل وحدة متكاملة.

وتتحدد هذه القيم من خلال كيفية تفاعل العناصر التشكيلية داخل العمل الخزفي، إذ يقوم التوازن على توزيع الكتل البصرية بما يحقق الاستقرار البصري، بينما يخلق الإيقاع حركة بصرية منظمة، ويسهم التناغم اللوني في تعزيز وحدة التكوين، بما يجعل العمل الخزفي قائمًا على علاقات داخلية دقيقة أكثر من كونه تجميعًا لعناصر منفصلة.(العمري، 2023، ص231)

وينتقل فهم القيم الجمالية إلى مستوى أعمق عندما يُنظر إليها باعتبارها نتاجًا لبنية داخلية غير مرئية، حيث لا يظهر الجمال كخاصية سطحية مباشرة، بل كحصيلة تفاعل بين عناصر متعددة داخل العمل الفني، الأمر الذي يجعل الشكل النهائي انعكاسًا لمنظومة علاقات بنائية دقيقة.

كما أن البعد التقني يدخل بوصفه عنصرًا فاعلًا في تشكيل هذه القيم، إذ تؤدي عمليات التشكيل اليدوي والحرق والتزجيج إلى إنتاج اختلافات ملمسية ولونية تمنح كل عمل خزفي خصوصيته، مما يجعل التقنية جزءًا من عملية إنتاج القيمة الجمالية وليس مجرد وسيلة تنفيذ.(داود، 2021، ص1125)

ويمتد هذا المفهوم ليشمل البعد الثقافي، حيث تتشكل القيم الجمالية في الخزف ضمن سياق من التراكم المعرفي والحرفي الذي ينتقل عبر الأجيال، الأمر الذي يجعل الجمال مرتبطًا بالذاكرة الثقافية والهوية الجمعية للمجتمع المنتج له.

ثانيًا: الخزف التراثي المحلي

يمثل الخزف التراثي المحلي أحد أشكال الفنون التطبيقية التي نشأت في ارتباط وثيق بين الإنسان وبيئته، حيث تَشكّل عبر زمن طويل نتيجة تفاعل الموارد الطبيعية مع الخبرة الحرفية المتوارثة، مما أفرز إنتاجًا خزفيًا يحمل سمات شكلية وتقنية تُظهِر خصوصية المكان وخصوصية المجتمع في آن واحد.

ويتضح أن هذا النوع من الخزف يرتبط بالبنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع، إذ تتجسد فيه أنماط المعيشة اليومية والقيم الجمالية المتوارثة، كما يُعدّ تنوع الأساليب التشكيلية والزخرفية تبعًا لاختلاف البيئات المحلية، مما يجعل كل إنتاج خزفي مرتبطًا بسياقه الجغرافي والثقافي الخاص، ويمتد فهم الخزف التراثي المحلي ليشمل كونه سجلًا بصريًا للذاكرة الجمعية، حيث يحمل في بنيته الشكلية دلالات ثقافية ورمزية تعكس الهوية الاجتماعية والمعتقدات السائدة، مما يمنحه قيمة تتجاوز الوظيفة المادية إلى البعد الدلالي الحضاري.(الحيآن، 2024، ص270)

كما أن استمرارية هذا النوع من الخزف عبر الأجيال تدل على تراكم معرفي وحِرفي ممتد، إذ تنتقل تقنيات التشكيل والحرق والزخرفة ضمن سياق من المحافظة والتطوير التدريجي، الأمر الذي يحافظ على الهوية الفنية مع السماح بتجددها، ويعتبر كذلك أن الخزف التراثي المحلي يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالبيئة، حيث تنعكس خصائصه الشكلية والتقنية على طبيعة المواد الخام

المتاحة محليًا، مما يجعل كل إنتاج خزفي نتاجًا لتفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية والثقافية.(داود، 2021، ص1125)

ثالثًا: الدلالات الحضارية في الخزف

تُعد الدلالات الحضارية في الخزف مدخلًا أساسيًا لفهم الأبعاد الثقافية الكامنة في هذا الفن، إذ لا يُنظر إلى العمل الخزفي بوصفه منتجًا ماديًا فحسب، بل باعتباره وسيطًا بصريًا يعكس البنية الفكرية والاجتماعية للمجتمع، ويجسد ملامح هويته عبر عناصره الشكلية والزخرفية.

وتتجلى هذه الدلالات في اللغة الرمزية التي تحملها الزخارف والتكوينات، حيث تتحول العناصر البصرية إلى إشارات ثقافية تعبر عن المعتقدات والقيم والتصورات الجمعية، بما يجعل الخزف مجالًا لقراءة الوعي الثقافي للمجتمع من خلال الشكل الفني، ويمتد البعد الحضاري في الخزف ليشمل كونه وثيقة مادية يمكن من خلالها تتبع تطور الذوق الجمالي والمعرفة التقنية عبر الزمن، إذ تُحيل الأنماط الزخرفية وأساليب التشكيل مراحل مختلفة من التحول الثقافي داخل المجتمع المنتج له.(البوعيشي، 2024، ص240)

كما أن البنية التقنية في صناعة الخزف ترتبط بدلالات حضارية غير مباشرة، إذ تعكس عمليات التشكيل والحرق والتزجيج مستوى التطور الحرفي والمعرفي، مما يجعل التقنية عنصرًا مشاركًا في إنتاج المعنى الحضاري وليس مجرد أداة تنفيذ.(الحصري، 2022، ص118)

ويتجسد الخزف التراثي في هذا السياق بوصفه حاملًا للذاكرة الثقافية، حيث تنتقل الرموز والأساليب عبر الأجيال، مما يمنحه قدرة على تمثيل استمرارية الهوية الحضارية داخل المجتمعات التقليدية.

رابعًا: العلاقة بين القيم الجمالية والدلالات الحضارية في الخزف

تقوم العلاقة بين القيم الجمالية والدلالات الحضارية في الخزف على أساس تكاملي، إذ لا يمكن فصل البنية الشكلية للعمل الخزفي عن سياقه الثقافي، لأن كل عنصر بصري يحمل في داخله بعدًا جماليًا وآخر دلاليًا يتشكلان في الوقت نفسه داخل وحدة العمل الفني.

وتتجلى هذه العلاقة في كون العناصر التشكيلية مثل اللون والزخرفة والتكوين لا تعمل بوصفها وسائل تجميلية فقط، بل تتحول إلى منظومة رمزية تعكس الهوية الثقافية وتعبّر عن القيم الجمالية السائدة داخل المجتمع، مما يمنح العمل الخزفي بعدًا مزدوجًا يجمع بين الجمال والمعنى.(العمري، 2023، ص234)

ويمتد هذا الفهم ليشمل أن تحليل الخزف لا يكتمل دون قراءة سياقه الحضاري، إذ تصبح القيم الجمالية مدخلًا لفهم البنية الثقافية التي أنتجت العمل، وهو ما يجعل الشكل الفني مرتبطًا ارتباطًا مباشرًا بالدلالة التاريخية والاجتماعية، كما أن استمرارية الأساليب التقنية والزخرفية عبر الزمن وتبيّن عمق الارتباط بين الجمال والهوية الثقافية، حيث يتحول الخزف إلى عنصر من عناصر التعبير الحضاري المستمر وليس مجرد منتج فني معزول. (Freestone & Gaimster, 1997, P143)

ويتضح في النهاية أن التقنية نفسها تسهم في إنتاج هذا التكامل، إذ تؤثر عمليات التشكيل والحرق والتزجيج في تشكيل خصائص بصرية تحمل في طياتها دلالات ثقافية وجمالية في آن واحد، مما يجعل الخزف وسيطًا حضاريًا وجماليًا متداخل الوظائف.)

الخلاصة:

يتضح من خلال ما تم عرضه في الإطار النظري أن الخزف بوصفه فنًا تطبيقيًا لا يمكن اختزاله في كونه مادة وظيفية أو إنتاجًا حرفيًا فقط، بل يمثل منظومة متكاملة تتداخل فيها الأبعاد الجمالية والتقنية والثقافية في بنية واحدة فقد أظهرت المحاور السابقة أن القيم الجمالية في الخزف تنبع من تنظيم العناصر التشكيلية داخل العمل الفني، في حين يتشكل البعد التراثي من خلال ارتباطه بالبيئة والذاكرة الجمعية، بينما تتجسد الدلالات الحضارية في الرموز والمعاني التي تحملها الزخارف والتكوينات.

كما أن العلاقة بين هذه الأبعاد تتسم بالتكامل، إذ لا تعمل القيم الجمالية بمعزل عن السياق الحضاري، كما لا يمكن فهم الدلالات الحضارية دون العودة إلى البنية الشكلية للعمل الخزفي، الأمر الذي يجعل الخزف مجالًا غنيًا لقراءة الهوية الثقافية للمجتمعات وتحولاتها عبر الزمن، ومن هنا تتضح أهمية الانتقال إلى الجانب التحليلي من البحث، من أجل اختبار هذه المفاهيم على نماذج تطبيقية أكثر تحديدًا وواقعية.

الدراسات السابقة:

1- دراسة (البوعيشي، 2024)، بعنوان: "الرموز والزخارف في فن الخزفي الكوتاهي: دراسة جمالية وتحليلية" – ليبيا.

تتناول هذه الدراسة الرموز والزخارف في فن الخزف الكوتاهي، حيث هدفت إلى استكشاف المعاني الثقافية والجمالية المرتبطة بهذه العناصر الفنية، مع التركيز على دورها في تجسيد القيم الثقافية والدينية والاجتماعية التي تسهم في تشكيل الهوية الفنية للمجتمعات، واعتمدت

على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل مجموعة من القطع الخزفية بهدف إبراز تنوع الرموز والزخارف وما تحمله من دلالات ثقافية وفنية، كما تناولت الدراسة الجوانب الجمالية لهذه الزخارف من حيث الألوان والأشكال والتصميمات ودورها في تعزيز التجربة البصرية للأعمال الخزفية، وأكدت على أهمية إحياء الفنون التقليدية مثل الخزف الكوتاهي باعتبارها جزءًا من الهوية الثقافية، كما دعت إلى ضرورة إجراء مزيد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال، وقد خلصت إلى أن فهم الرموز والزخارف يسهم في توسيع آفاق الإبداع الفني وتعزيز المهارات الحرفية والحفاظ على التراث الثقافي كقيمة فنية وحضارية.

2- دراسة (فريسن، 2022)، بعنوان: "القيم الجمالية للموروث الشعبي في أعمال الفنان الليبي صلاح غيث: دراسة وصفية تحليلية في أسلوب ونمط أعمال الفنان صلاح غيث كقيم جمالية" – ليبيا.

تتناول هذه الدراسة القيم الجمالية للموروث الشعبي في أعمال الفنان الليبي صلاح غيث، حيث هدفت إلى الكشف عن مظاهر هذه القيم الجمالية في الفن التشكيلي وربطها بمفهوم الأصالة في العمل الفني، واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي مع الاستناد إلى دراسات سابقة في تحديد مفهوم القيمة الجمالية للموروث الشعبي وتعميق فهمه في السياق الفني، كما تناولت الدراسة الإطار النظري للقيمة الجمالية باعتبارها صفة تعبيرية تحقق متعة جمالية ناتجة عن منظومة فكرية ترتبط بالبيئة والمجتمع، وركزت على تحليل أعمال الفنان التي استلهمت عناصرها من الموروث الشعبي والطبيعة المحيطة به، والتي عكست هوية بصرية متكاملة تسهم في إنتاج أعمال فنية ذات بعد بصري وإدراكي فعال، كما أوضحت الدراسة أن توظيف الزي التقليدي والعناصر التراثية في الأعمال المعاصرة يعزز القيمة الجمالية ويعمق الارتباط بالهوية الثقافية، إضافة إلى أن توزيع الألوان المسطحة وتعدد الأعماق البصرية في الأعمال المدروسة أسهم في إنتاج أعمال ذات قيمة فنية وفكرية عالية، وقد خلصت الدراسة إلى أن استلهام الموروث الشعبي يمثل مصدرًا مهمًا لتعزيز القيم الجمالية في الفنون التشكيلية المعاصرة ويؤكد أهمية التمازج الثقافي في إنتاج أعمال ذات طابع حضاري مميز.

3- دراسة (مجيد، 2022)، بعنوان: "القيم الجمالية لزخارف الخزف الإسلامية: خزفيات إزنيك أنموذجًا" – العراق.

تتناول هذه الدراسة القيم الجمالية لزخارف الخزف الإسلامي من خلال تحليل خزفيات إزنيك العثمانية كنموذج تطبيقي، حيث هدفت إلى الكشف عن الخصائص الجمالية التي ميزت هذه

الخزفيات ومدى قدرتها على التعبير عن قيم فنية وتشكيلية ترتقي بالذائقة الجمالية، واعتمدت على منهج وصفي تحليلي قائم على دراسة مجموعة من التشكيلات الزخرفية في الخزف الإسلامي والعثماني في مدينة إزنيك، كما طرحت الدراسة مجموعة من التساؤلات المتعلقة بطبيعة القيم الجمالية في هذه الأعمال ومدى ارتباطها بالتجديد الفني أو استنساخ التقاليد الحرفية الموروثة، إضافة إلى تحليل عناصر الزخرفة النباتية والهندسية والآدمية والحيوانية ودورها في بناء منظومة جمالية متكاملة، وقد ركزت على إبراز البعد التاريخي والحضاري للفن الخزفي الإسلامي وإمكاناته في تطوير الذائقة الفنية، وخلصت إلى أن الزخارف الخزفية في مدرسة إزنيك تمثل تمازجًا بين الإبداع الفني والمرجعيات الثقافية والتقنية، بما يعكس قدرة الفنان المسلم على إنتاج قيم جمالية متنوعة تسهم في تعزيز التجربة البصرية وإيصال المعنى الجمالي إلى المتلقي.

4- دراسة (زديرة، 2020)، بعنوان: "القيم الجمالية للزخرفة المعمارية في الجزائر خلال العهد العثماني (924-1245هـ / 1518-1830م): جامع كتشاوة والجامع الجديد أنموذجًا" – الجزائر.

تتناول هذه الدراسة القيم الجمالية للزخرفة المعمارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، حيث هدفت إلى إبراز الدور الجمالي والفني للزخارف في العمارة الدينية وخاصة المساجد، مع التركيز على جامع كتشاوة والجامع الجديد كنموذجين تطبيقيين يعكسان خصائص هذا الفن، واعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي من خلال جمع المعطيات التاريخية ووصف وتحليل المعالم المعمارية والزخرفية ودراسة دلالاتها الجمالية، كما تناولت الدراسة خصائص الزخرفة الإسلامية في تلك الفترة وكيفية توظيفها لتحقيق توازن بين الجانب الجمالي والوظيفي، إضافة إلى تحليل الوحدات الزخرفية ومقارنة الأساليب التقنية بين المؤثرات المحلية والمؤثرات العثمانية، بهدف فهم مظاهر التمازج الحضاري وانعكاسه على العمارة المسجدية، وقد خلصت إلى أن الزخرفة المعمارية في المساجد الجزائرية خلال العهد العثماني أسهمت بشكل كبير في إضفاء دلالات فنية وجمالية عميقة تُظهر تطور الفن الإسلامي في تلك المرحلة.

الدراسة التحليلية:

أولًا: "نماذج خزفية تراثية محلية – ليبيا"

تمثل النماذج المختارة مجموعة من القطع الخزفية التراثية المحلية التي تعكس الخصائص الجمالية والتقنية المرتبطة بالحرف التقليدية في البيئة الليبية، حيث تتنوع هذه النماذج بين

الأواني البسيطة ذات الطابع الوظيفي والقطع الأكثر زخرفة ذات البعد الجمالي والدلالين وتتميز هذه النماذج ببنية شكلية تعتمد على التكوين الدائري المتوازن، مع استخدام الطين المحلي المحروق والمعالجات السطحية الترابية التي تمنح القطع طابعًا بصريًا منسجمًا مع البيئة المحلية.

كما تظهر على أسطح هذه القطع زخارف هندسية ونباتية موزعة وفق تنظيمات بصرية متنوعة، تتراوح بين البساطة الإيقاعية والتكثيف الزخرفي المركب، وهو ما يعكس اختلاف مستويات المعالجة الجمالية داخل الإنتاج الخزفي المحلي، ويمكن قراءة هذه النماذج في سياق الخزف التقليدي السائد في بعض مناطق شمال غرب ليبيا، خاصة في غريان وزليتن وطرابلس، حيث ارتبطت صناعة الخزف بالحياة اليومية وبالخبرة الحرفية المتوارثة عبر الأجيال.

ومن الناحية الجمالية، تقوم هذه النماذج على مبدأ التنظيم البصري للعناصر الزخرفية، إذ يسهم التكرار الهندسي في خلق حركة بصرية دائرية تعزز الإحساس بالاستمرارية والتوازن، كما تؤدي الفراغات الفاصلة بين الوحدات الزخرفية دورًا تنظيميًا يخفف من الكثافة البصرية ويحقق انسجامًا داخل التكوين العام، وتمنح البساطة اللونية الناتجة عن استخدام الطينة الطبيعية والألوان الترابية وحدة بصرية متماسكة ترتبط بالهوية البيئية المحلية.

أما من الناحية التقنية، فتُظهر النماذج آثار التشكيل اليدوي بوضوح، سواء من خلال الانحرافات الطفيفة في الاستدارة أو من خلال الملامس السطحية الناتجة عن المعالجة اليدوية المباشرة، وهو ما يمنح القطع طابعًا حرفيًا يعكس حضور الصانع داخل العمل الفني، بعيدًا عن التماثل الصناعي الجامد، كما تكشف تقنيات الحرق والتلوين والتزجيج عن تفاوت في مستويات الخبرة الحرفية بين النماذج، بما يدل على تطور تدريجي في المعالجة التقنية والجمالية داخل صناعة الخزف المحلي.

وتشير هذه النماذج كذلك إلى ارتباط الخزف التراثي الليبي بالبيئة الجغرافية والثقافية، إذ تعكس الزخارف الهندسية البسيطة نزعة نحو النظام والتنظيم البصري، بينما تعبّر العناصر النباتية والزخارف المركبة عن تطور في الوعي الجمالي واتساع الوظيفة التعبيرية للقطعة الخزفية، كما تكشف بعض العينات المحفوظة في المتحف الوطني الليبي والمجموعات التراثية الشعبية في مناطق مثل غريان وزليتن عن تشابه واضح مع النماذج المدروسة، سواء من حيث البنية الشكلية أو طبيعة الزخرفة والمعالجة التقنية، الأمر الذي يعزز ارتباط هذه النماذج بالسياق المحلي الليبي.

شكل (1): إناء خزفي تراثي – ليبيا

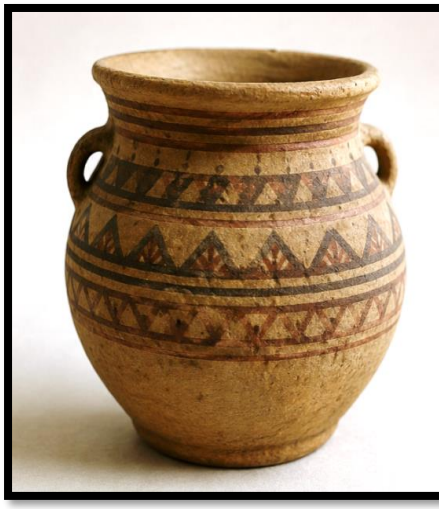

المتحف الوطني الليبي – قسم التراث الشعبي، رقم السجل: (MNLI-TP-01245)

شكل (2): طبق خزفي مزخرف من مدينة زليتن – ليبيا

المصدر: مركز جرد التراث الشعبي الليبي، قاعدة بيانات الخزف التقليدي، رقم السجل: (LPC-2021-ZL-078)

شكل (3): إناء خزفي تقليدي من منطقة غريان – ليبيا

* المصدر: المتحف الوطني الليبي – قسم التراث الشعبي، طرابلس.

يُظهر الشكلان (1، 3) نموذجين لخزف تراثي ذي تكوين دائري متوازن، حيث يتجلى التوازن البصري من خلال استقرار الكتلة حول المحور الرأسي، وهو ما يمنح الشكل حالة من الانسجام والهدوء البصري، كما يظهر الإيقاع البصري في تكرار الزخارف الهندسية ضمن نطاقات أفقية منتظمة، بما يخلق حركة بصرية دائرية متواصلة حول جسم القطعة، ويعكس هذا الطابع الجمالي في السياق الليبي المحلي نزعة نحو البساطة الوظيفية المرتبطة بالاستخدام اليومي وبالبيئة الحرفية التقليدية.

أما الشكل (2)، فيمثل مستوى أكثر تعقيدًا من المعالجة الزخرفية، حيث تتداخل العناصر الهندسية والنباتية ضمن بناء بصري كثيف يحقق نوعًا من الامتلاء البصري المنظم، وهو ما يمنح السطح الخزفي حيوية وديناميكية أكبر مقارنة بالنماذج البسيطة، كما تعكس المعالجات اللونية والزخرفية المتعددة تطورًا في الخبرة الحرفية والوعي الجمالي، وترتبط هذه السمات ببعض التأثيرات المغاربية والإسلامية التي امتدت إلى البيئة الليبية عبر التفاعل الحضاري والثقافي في منطقة البحر المتوسط.

ثانيًا: قطعة خزفية من التراث الإسلامي في شمال إفريقيا (مع نموذج مقارن من ليبيا)

تمثل هذه القطعة نموذجًا خزفيًا أكثر تعقيدًا من حيث البنية الزخرفية والمعالجة التشكيلية، حيث تتداخل العناصر الهندسية مع الوحدات النباتية داخل تنظيم بصري مترابط يغطي السطح الخارجي للعمل، مع توظيف تدرجات لونية تتنوع بين البني والأحمر والألوان الترابية، الأمر الذي يمنح القطعة ثراءً بصريًا وتنوعًا في العلاقات الشكلية.

ومن الناحية الجمالية، يقوم هذا النموذج على مبدأ التكثيف الزخرفي المنظم، إذ تتشابك الوحدات الزخرفية ضمن بناء شبكي متكرر يخلق إيقاعًا بصريًا غنيًا وحركة مستمرة فوق سطح القطعة، كما أن التوازن البصري هنا لا يعتمد على الفراغات الهادئة كما في النماذج البسيطة، بل يتحقق من خلال التوزيع المدروس للكثافات الزخرفية وتنوع العلاقات بين العناصر التشكيلية.

أما تقنيًا، فيُظهر النموذج تطورًا واضحًا في أساليب المعالجة السطحية، سواء من خلال تعدد طبقات الزخرفة أو عبر استخدام التلوين والتزجيج والحرق المتدرج، وهو ما يعكس مستوى متقدمًا من المهارة الحرفية والخبرة التقنية مقارنة بالنماذج الخزفية المحلية البسيطة، كما يشير إلى تراكم معرفي في تقنيات صناعة الخزف داخل البيئة الإسلامية في شمال إفريقيا.

وعلى المستوى الدلالي، تعكس هذه القطعة البعد الحضاري للفن الخزفي الإسلامي، حيث ترتبط الزخارف الهندسية والنباتية بمنظومة رمزية تعبّر عن قيم النظام والتوازن والانسجام، وهي قيم متجذرة في الفنون الإسلامية التقليدية، كما تكشف كثافة الزخرفة وتنوعها عن وعي جمالي يسعى إلى تحويل السطح الخزفي من عنصر وظيفي إلى فضاء بصري غني بالدلالات الثقافية والتعبيرية.

ويمكن ملاحظة أن هذا الطابع الزخرفي المركب يظهر بصورة واضحة في بعض نماذج الخزف المغاربي والإسلامي المتأخر، والتي امتدت تأثيراتها إلى بعض البيئات الليبية، خاصة في المدن الساحلية ومناطق التبادل التجاري والثقافي عبر البحر المتوسط، حيث تأثرت الذائقة البصرية المحلية ببعض الأنماط الزخرفية القادمة من المجال المغاربي والأندلسي، مع احتفاظ الخزف الليبي بخصوصيته المرتبطة بالبيئة المحلية والخبرة الحرفية التقليدية.

شكل (4): قطعة خزفية مزخرفة

*** المصدر: British Museum / Department of Islamic Art**

يمثل النموذج الثاني مستوى أكثر تطورًا في المعالجة الخزفية، حيث تتجاوز بنيته التشكيلية الجانب الوظيفي لتتجه نحو بناء بصري قائم على التداخل والتركيب الزخرفي المركب، إذ تتوزع العناصر الهندسية والنباتية على السطح الخارجي ضمن تنظيم زخرفي كثيف يحقق حالة من الامتلاء البصري المتوازن، ويمنح القطعة طابعًا زخرفيًا أكثر ثراءً وتعقيدًا مقارنة بالنماذج البسيطة.

ومن الناحية الجمالية، يعتمد هذا النموذج على مبدأ التنظيم الزخرفي المتشابك، حيث تتداخل الوحدات البصرية داخل شبكة تكوينية مترابطة تُنتج حركة إيقاعية مستمرة فوق سطح العمل، فلا تقوم القيمة الجمالية هنا على البساطة أو الفراغ، بل على كثافة العلاقات الشكلية وتنوعها، وهو ما يضفي على القطعة حيوية بصرية ويعزز تعدد مستويات الإدراك داخل التكوين.

أما من الناحية التقنية، فيكشف النموذج عن تطور واضح في مهارات التنفيذ والمعالجة السطحية، ويتجلى ذلك في دقة توزيع الزخارف وتدرج الألوان الناتج عن عمليات الحرق والتلوين والتزجيج، بما يدل على خبرة حرفية متقدمة انتقلت بالخزف من الأساليب التقليدية البسيطة إلى معالجات أكثر تنظيمًا وتعقيدًا.

وعلى المستوى الدلالي، يمكن فهم هذا النموذج بوصفه تعبيرًا عن تطور الوعي الجمالي داخل البيئة الثقافية المنتجة للخزف، حيث لم تعد الزخرفة عنصرًا تكميليًا فحسب، بل أصبحت نظامًا بصريًا يحمل أبعادًا رمزية وثقافية متعددة، تعكس نزعة فنية تميل إلى التنوع داخل الوحدة وإلى تحويل السطح الخزفي إلى مجال تعبيري غني بالدلالات الحضارية والجمالية.

مقارنة تحليلية بين النماذج الخزفية التراثية المحلية والنموذج الخزفي الإسلامي المقارن:

جدول (1): المقارنة التحليلية بين النموذجين الخزفيين

وجه المقارنة	النموذج (1): إناء خزفي تراثي بسيط	النموذج (2): قطعة خزفية مزخرفة
البنية الشكلية العامة	تكوينات بسيطة نسبيًا تميل إلى الاستقرار والوضوح مع اعتماد البنية الدائرية التقليدية	تكوين أكثر تعقيدًا يقوم على التراكب والامتلاء البصري وتعدد العلاقات الشكلية

وجه المقارنة	النموذج (1): إناء خزفي تراثي بسيط	النموذج (2): قطعة خزفية مزخرفة
الكثافة الزخرفية	زخارف محدودة أو متوسطة موزعة ضمن نطاقات منظمة تحافظ على وضوح الكتلة	زخارف كثيفة تغطي معظم السطح مع تشابك العناصر الهندسية والنباتية
تنظيم العناصر البصرية	يعتمد على التكرار المنتظم والإيقاع الهادئ داخل التكوين	يعتمد على التداخل والتركيب الشبكي المعقد للعناصر الزخرفية
الإيقاع البصري	إيقاع بصري هادئ ومستقر ناتج عن انتظام الوحدات الزخرفية	إيقاع بصري متحرك وديناميكي ناتج عن كثافة الزخرفة وتنوعها
التوازن البصري	توازن قائم على استقرار الكتلة والتماثل النسبي	توازن قائم على توزيع الكثافات والعلاقات الزخرفية المركبة
التكوين اللوني	ألوان ترابية طبيعية محدودة تعكس البيئة المحلية والطابع الحرفي	تنوع لوني أوضح مع تدرجات لونية ومعالجات سطحية أكثر ثراءً
المعالجة التقنية	تقنيات يدوية تقليدية تظهر فيها آثار التشكيل المباشر والحرق البسيط	تقنيات أكثر تطورًا في التزجيج والتلوين والمعالجة السطحية
درجة التعقيد الفني	طابع فني بسيط إلى متوسط يرتبط بالوظيفة اليومية والحرف التقليدية	طابع فني أكثر تعقيدًا يميل إلى البعد الجمالي والزخرفي المركب
الدلالة الحضارية	تعكس ارتباط الخزف بالبيئة المحلية والهوية الثقافية الشعبية	تعكس تأثيرات حضارية وفنية مرتبطة بالفنون الإسلامية والمغاربية

وجه المقارنة	النموذج (1): إناء خزفي تراثي بسيط	النموذج (2): قطعة خزفية مزخرفة
الطابع الجمالي العام	جمالية تقوم على البساطة والانسجام والوظيفة العملية	جمالية تقوم على الثراء البصري والتنوع الزخرفي والبعد الرمزي

يتضح من المقارنة بين النماذج الخزفية المحلية والنموذج الخزفي الإسلامي المقارن وجود تدرج واضح في المعالجة الجمالية، يبدأ من البساطة الوظيفية المرتبطة بالاستخدام اليومي والحرفة التقليدية، وصولًا إلى البنية الزخرفية الأكثر تعقيدًا وثراءً بصريًا، وهو ما يعكس تطورًا في مستوى الوعي الجمالي والدلالي داخل الفنون الخزفية.

كما تكشف المقارنة أن النماذج المحلية اعتمدت على التوازن والبساطة والإيقاع الهادئ المرتبط بالبيئة الليبية التقليدية، في حين اتجه النموذج الإسلامي المقارن نحو التكثيف الزخرفي والتنوع البصري وتعدد العلاقات الشكلية، الأمر الذي منح السطح الخزفي بعدًا تعبيريًا أكثر تركيبًا، ولم يكن هذا التطور مجرد إضافة زخرفية شكلية، بل ارتبط بتحول وظيفة الخزف من أداة نفعية بسيطة إلى وسيط بصري يحمل دلالات ثقافية وحضارية تعكس تطور الذائقة الجمالية واتساع البعد الرمزي داخل البيئة المنتجة للخزف.

مناقشة النتائج:

أظهرت نتائج الدراسة التحليلية أن الخزف التراثي المحلي في البيئة الليبية لا يمثل مجرد نتاج حرفي ذي وظيفة استعمالية، بل يُعد بنية جمالية وثقافية متكاملة تتداخل فيها العناصر الشكلية والتقنية والزخرفية مع الدلالات الحضارية المرتبطة بالهوية المحلية، وقد بينت التحليلات أن القيم الجمالية في النماذج المدروسة لا تنبع من عنصر منفصل، وإنما تتشكل من خلال العلاقات المتبادلة بين التكوين العام، والتنظيم الزخرفي، والمعالجة التقنية، الأمر الذي يؤكد أن الجمال في الخزف التقليدي يرتبط بالبنية الداخلية للعمل أكثر من ارتباطه بالمظهر الخارجي وحده.

كما كشفت النتائج عن وجود تباين واضح بين النماذج الخزفية المحلية البسيطة والنموذج الإسلامي المقارن من حيث مستوى الكثافة الزخرفية والتنظيم البصري، إذ اتجهت النماذج الليبية المحلية نحو البساطة والوضوح واستقرار الكتلة، في حين اتسم النموذج المقارن بتعدد

العلاقات الشكلية والتراكب الزخرفي والامتلاء البصري، ويُظهر هذا التباين اختلافًا في طبيعة المعالجة الجمالية تبعًا لاختلاف السياقات الثقافية والحضارية، وهو ما يتفق مع ما أشار إليه(Cooper, 2000) من أن تطور الفنون الخزفية يرتبط بتحولات البيئة الاجتماعية والثقافية.

ومن جهة أخرى، أوضحت النتائج أن الزخارف الهندسية والنباتية في الخزف التراثي لا تؤدي وظيفة تزيينية فحسب، بل تحمل أبعادًا رمزية تعكس رؤية المجتمع للانسجام والنظام والاستمرارية ففي النماذج الليبية المحلية ظهرت الزخارف الهندسية البسيطة بوصفها امتدادًا للطابع الحرفي المرتبط بالحياة اليومية، بينما اتجه النموذج الإسلامي المقارن إلى بناء زخرفي أكثر كثافة يعكس اتساع البعد التعبيري والرمزي داخل الفنون الإسلامية، وهو ما يتفق مع ما طرحه (Grabar, 1992) حول الوظيفة الفكرية والثقافية للزخرفة الإسلامية.

كما بيّنت الدراسة أن البعد التقني يرتبط بصورة مباشرة بالقيمة الجمالية للعمل الخزفي، إذ أسهمت تقنيات التشكيل اليدوي والحرق والمعالجة السطحية في إنتاج خصائص ملمسية وبصرية منحت القطع طابعًا فنيًا خاصًا، ولم تكن التقنية مجرد وسيلة تنفيذية، بل عنصرًا فاعلًا في بناء المعنى الجمالي، وهو ما ينسجم مع رؤية (Rye, 1981) التي تؤكد أن التقنية في الخزف تُعد جزءًا من التكوين الجمالي ذاته.

وأظهرت النتائج كذلك أن الخزف التراثي الليبي يعكس ارتباطًا وثيقًا بالبيئة المحلية، سواء من خلال استخدام الطين المحلي والألوان الترابية أو من خلال بساطة التكوين والزخرفة المرتبطة بالحياة اليومية والحرف التقليدية، كما كشفت المقارنة مع النموذج الإسلامي المقارن عن وجود تأثيرات حضارية متبادلة بين البيئة الليبية والمجال المغاربي والإسلامي، خاصة في بعض المعالجات الزخرفية والتقنية، مع احتفاظ الخزف المحلي بخصوصيته المرتبطة بالهوية الثقافية الليبية.

كما أكدت الدراسة أن الانتقال من البنية الخزفية البسيطة إلى البنية الزخرفية الأكثر تعقيدًا يعكس تحولًا في طبيعة التعبير الجمالي، حيث لم يعد الخزف مجرد وعاء وظيفي، بل أصبح وسيطًا بصريًا يحمل دلالات ثقافية وحضارية متعددة، ويشير هذا التحول إلى تطور الخبرة الحرفية واتساع الوعي الجمالي داخل البيئة المنتجة للخزف، بما يعزز العلاقة بين الشكل الفني والبعد الحضاري للعمل.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن نتائج الدراسة تؤكد الفرضية الأساسية للبحث، والمتمثلة في أن القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي ترتبط بصورة مباشرة بالدلالات الحضارية والثقافية، بحيث يصبح الشكل الخزفي حاملًا للهوية البصرية والذاكرة الثقافية داخل المجتمع المنتج له.

الاستنتاج التحليلي:

يتضح من تحليل النماذج الخزفية التراثية المحلية أن القيمة الجمالية في الخزف الليبي تقوم على التوازن بين البساطة التشكيلية والبعد الحرفي المرتبط بالبيئة المحلية، حيث أسهمت العلاقات المنظمة بين الكتلة والزخرفة والإيقاع الهندسي في إنتاج حالة من الانسجام والاستقرار البصري. كما أن استخدام الطين المحلي والألوان الترابية والمعالجات اليدوية المباشرة منح القطع طابعًا بصريًا يعكس خصوصية البيئة الثقافية الليبية وارتباطها بالحياة اليومية والحرف التقليدية.

وقد أظهرت النماذج المحلية أن الجمالية لا ترتبط بالتعقيد الزخرفي بقدر ارتباطها بوضوح التنظيم البصري ووحدة التكوين، إذ أسهم التكرار الهندسي المنتظم والاقتصاد في العناصر الزخرفية في تحقيق جمالية هادئة تنبع من بساطة العلاقات الشكلية، كما كشفت آثار التشكيل اليدوي عن حضور واضح للخبرة الحرفية داخل العمل الخزفي، الأمر الذي جعل البعد التقني جزءًا من الهوية الجمالية والثقافية للقطعة.

أما النموذج الخزفي الإسلامي المقارن، فقد كشف عن مستوى أكثر تطورًا من المعالجة الزخرفية والتقنية، حيث تحولت الزخرفة إلى نظام بصري مركب قائم على التداخل والتراكب والإيقاع المتعدد، وهو ما منح السطح الخزفي ثراءً بصريًا وديناميكية أكبر، كما عكست المعالجات اللونية والتقنيات المتقدمة في التزجيج والحرق تطورًا في الخبرة الفنية والوعي الجمالي داخل الفنون الخزفية الإسلامية في شمال إفريقيا.

وتؤكد المقارنة بين النماذج المحلية والنموذج المقارن أن الخزف التراثي الليبي حافظ على خصوصيته المرتبطة بالبساطة الوظيفية والطابع الحرفي المحلي، رغم تأثره ببعض الاتجاهات الزخرفية القادمة من المجال المغاربي والإسلامي، وهو ما يدل على أن البيئة الليبية لم تكن معزولة عن محيطها الحضاري، بل شاركت في تفاعلات ثقافية وفنية أسهمت في تطوير الذائقة البصرية مع الحفاظ على السمات المحلية المميزة.

وبذلك يمكن الاستنتاج أن القيم الجمالية في الخزف التراثي الليبي لا تنفصل عن السياق الحضاري والثقافي الذي أنتجها، بل تتشكل من خلال التفاعل بين البيئة المحلية، والخبرة

الحرفية، والتنظيم الزخرفي، والدلالات الرمزية، مما يجعل الخزف التقليدي وسيطًا بصريًا يعبر عن الهوية الثقافية والذاكرة الحضارية للمجتمع الليبي.

المحور الثالث: منهجية البحث

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على **المنهج الوصفي التحليلي** بوصفه المنهج الأنسب لدراسة القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي وتحليل دلالاته الحضارية، حيث يقوم هذا المنهج على وصف الظاهرة كما هي في الواقع، ثم تحليل مكوناتها الشكلية والبصرية بهدف تفسيرها واستخلاص دلالاتها الثقافية والجمالية.

ويُوظّف البحث هذا المنهج من خلال تحليل نماذج مختارة من الخزف التراثي المحلي، وذلك عبر دراسة عناصره التشكيلية مثل اللون، والزخرفة، والبناء التركيبي، والإيقاع البصري، للكشف عن القيم الجمالية الكامنة فيها، ومدى ارتباطها بالسياق الحضاري والثقافي الذي أنتجها.

كما يستفيد البحث من المدخل التحليلي في قراءة العناصر الزخرفية والرمزية داخل الأعمال الخزفية، بما يسمح بفهم البنية الداخلية للعمل الفني، وربطها بالمعاني الاجتماعية والثقافية التي تُظهرها هذه الأعمال.

ويعتمد الباحث في ذلك على أسلوب التحليل الفني الذي يركز على دراسة الشكل والمضمون في آنٍ واحد، مع مراعاة الخصائص التقنية المرتبطة بعمليات التشكيل والحرق والمعالجة السطحية، باعتبارها جزءًا من إنتاج القيمة الجمالية في العمل الخزفي.

مجال البحث:

يتناول هذا البحث مجال الفنون التطبيقية، وبشكل أكثر تحديدًا **فن الخزف التراثي المحلي** بوصفه أحد أبرز الفنون التي تجمع بين البعد الوظيفي والبعد الجمالي، وتُبرز في الوقت نفسه الخصوصية الثقافية والحضارية للمجتمع المنتج له، ويُعنى هذا المجال بدراسة النتاجات الخزفية التي نشأت داخل البيئات المحلية، وما تحمله من خصائص تشكيلية وزخرفية تعكس الهوية البصرية للموروث الفني.

ويقع البحث ضمن نطاق الدراسات الجمالية والتحليلية في الفنون، حيث يركز على تحليل القيم الجمالية في الخزف من خلال عناصره البصرية مثل اللون، والزخرفة، والتكوين، والإيقاع الشكلي، وربطها بالدلالات الحضارية والثقافية الكامنة خلفها، بما يسهم في فهم أعمق للعلاقة بين الشكل الفني والسياق الاجتماعي.

كما يرتبط هذا البحث بمجال الدراسات التراثية، من خلال اهتمامه بالخزف المحلي بوصفه أحد مكونات التراث المادي الذي يعكس تراكم الخبرات الحرفية والمعرفية عبر الأجيال، ويُعد وثيقة بصرية تسهم في قراءة التاريخ الثقافي للمجتمعات.

أدوات البحث:

اعتمد هذا البحث على مجموعة من الأدوات التي تتناسب مع طبيعته الوصفية التحليلية، والتي تهدف إلى دراسة القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي وتحليل دلالاته الحضارية، وذلك على النحو الآتي:

- **أداة التحليل البصري:** تُعد الأداة الرئيسة في هذا البحث، حيث تم الاعتماد على تحليل العناصر الشكلية في الأعمال الخزفية مثل اللون، والزخرفة، والتكوين، والإيقاع البصري، بهدف الكشف عن القيم الجمالية الكامنة فيها، وفهم بنيتها التشكيلية وعلاقتها بالسياق الثقافي.

- **أداة التحليل الفني:** وتُستخدم لدراسة الخصائص التقنية المرتبطة بالخزف، مثل أساليب التشكيل، وطرق الحرق، والمعالجات السطحية، وذلك لفهم دور هذه العمليات في إنتاج القيمة الجمالية للعمل الخزفي، وربط الجانب التقني بالجانب الجمالي.

- **أداة التحليل الرمزي والدلالي:** وتهدف إلى تفسير الرموز والزخارف والعناصر التشكيلية في الخزف التراثي المحلي، وربطها بالدلالات الحضارية والثقافية التي تعكسها، بما يسهم في فهم البعد الرمزي والاجتماعي للأعمال الخزفية.

- **أداة الملاحظة العلمية غير المباشرة:** من خلال دراسة وتحليل النماذج الخزفية المصورة أو المعروضة في المصادر العلمية والمراجع المتخصصة، بهدف استخراج الخصائص الجمالية والدلالية دون تدخل مباشر في إنتاجها.

خطوات وإجراءات البحث:

سار هذا البحث وفق مجموعة من الخطوات والإجراءات المنهجية المتتابعة، بما ينسجم مع طبيعته الوصفية التحليلية، وذلك بهدف دراسة القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي وتحليل دلالاته الحضارية، وقد تمثلت هذه الخطوات فيما يأتي:

أولًا: تحديد مشكلة البحث وصياغتها

تم في هذه المرحلة تحديد الإطار العام للمشكلة البحثية، من خلال رصد الفجوة المعرفية المتعلقة بضعف الدراسات التي تناولت القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي بوصفها منظومة تحليلية مرتبطة بالدلالات الحضارية، وليس فقط بوصفها عناصر شكلية أو تقنية منفصلة.

ثانيًا: جمع المادة العلمية

تم جمع المادة العلمية من خلال الرجوع إلى الدراسات والكتب والمجلات العلمية المتخصصة في مجال الخزف والفنون التطبيقية والدراسات الجمالية، مع التركيز على المصادر العربية والأجنبية التي تناولت القيم الجمالية والدلالات الرمزية في الفنون الخزفية.

ثالثًا: اختيار نماذج الدراسة

تم اختيار نماذج من الخزف التراثي المحلي وفقًا لارتباطها بموضوع البحث، بحيث تمثل هذه النماذج تنوعًا في الأساليب التشكيلية والزخرفية، بما يسمح بإجراء تحليل جمالي ودلالي شامل.

رابعًا: تحليل النماذج

تم تحليل النماذج المختارة باستخدام أسلوب التحليل الوصفي، من خلال دراسة العناصر التشكيلية مثل اللون والزخرفة والتكوين، وربطها بالدلالات الحضارية والثقافية، مع مراعاة الجانب التقني في عمليات التشكيل والحرق والمعالجة.

خامسًا: استخلاص النتائج

في هذه المرحلة تم تفسير المعطيات التي تم التوصل إليها من خلال التحليل، بهدف تحديد أبرز القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي، والكشف عن دلالاتها الحضارية، وربطها بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي نشأت فيه.

ملخص النتائج:

توصل البحث من خلال تحليل القيم الجمالية في الخزف التراثي المحلي ودلالاتها الحضارية إلى مجموعة من النتائج التي تعكس طبيعة العلاقة بين البنية الشكلية للعمل الخزفي والسياق الثقافي الذي أنتجه، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

1- أظهر التحليل أن الخزف التراثي المحلي يتضمن منظومة جمالية متكاملة تقوم على عناصر التكوين مثل التوازن، والتناغم، والإيقاع البصري، وتنوع المعالجات اللونية والزخرفية، بما يعكس وعيًا جماليًا نابعًا من البيئة المحلية.

2- بينت النتائج أن الزخارف والعناصر الشكلية في الخزف لا تؤدي وظيفة تزيينية فقط، بل تحمل دلالات رمزية وثقافية تعكس مكونات الهوية الاجتماعية والقيم السائدة في المجتمع المنتج لها.

3- أظهرت الدراسة أن العمليات التقنية مثل التشكيل والحرق والمعالجة السطحية تسهم بشكل مباشر في إنتاج القيم الجمالية، حيث تتداخل التقنية مع الشكل لإنتاج هوية بصرية مميزة لكل عمل خزفي.

4- اتضح أن الخزف التراثي المحلي يمثل امتدادًا للذاكرة الثقافية للمجتمع، إذ يعكس تراكم الخبرات الحرفية والمعرفية عبر الأجيال، مما يجعله وثيقة حضارية قابلة للقراءة والتحليل.

5- بينت النتائج وجود ارتباط وثيق بين القيم الجمالية والدلالات الحضارية، حيث لا يمكن فصل الشكل الفني عن البعد الثقافي، إذ يعمل كل منهما على تعزيز فهم الآخر داخل العمل الخزفي.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى تأكيد أن الخزف التراثي المحلي ليس مجرد نتاج حرفي ذي وظيفة نفعية، بل هو بنية جمالية–حضارية مركبة تتداخل فيها الأبعاد الشكلية والتقنية والدلالية ضمن وحدة واحدة متماسكة، وقد اتضح من خلال التحليل الوصفي للنماذج المختارة أن القيم الجمالية في هذا النوع من الخزف لا تنفصل عن السياق الثقافي الذي أنتجها، بل تنبثق منه وتتغذى عليه، بما يجعل العمل الخزفي وثيقة بصرية تعكس خصائص الهوية المحلية وامتدادها التاريخي.

وأظهرت النتائج أن العناصر التشكيلية مثل التوازن، والإيقاع، والتناغم اللوني، والكثافة الزخرفية، لا تعمل بوصفها عناصر شكلية معزولة، وإنما بوصفها منظومة بنائية تسهم في إنتاج المعنى الجمالي داخل العمل الخزفي، كما تبين أن الانتقال من النماذج البسيطة إلى النماذج الأكثر تعقيدًا يعكس تطورًا في الوعي الجمالي، واتساعًا في المجال التعبيري، بما يشير إلى دينامية داخل الإنتاج الخزفي مرتبطة بتراكم الخبرة الحرفية وتغير الذائقة البصرية عبر الزمن.

كما أكد البحث أن البعد التقني لا يمكن فصله عن البعد الجمالي، إذ أسهمت عمليات التشكيل والحرق والمعالجات السطحية في تشكيل خصائص بصرية نوعية، تمنح كل قطعة خزفية فرادتها الخاصة، وبذلك تصبح التقنية جزءًا من إنتاج القيمة الجمالية وليست مجرد وسيلة تنفيذ، وهو ما يعزز فهم الخزف بوصفه ممارسة تجمع بين المهارة الحرفية والتعبير الفني.

وفي السياق ذاته، أظهرت الدراسة أن الدلالات الحضارية المتضمنة في الخزف التراثي المحلي تتجلى في الرموز والزخارف والبنى التكوينية التي تعكس تصورات المجتمع للعالم، وقيمه الجمالية، وأنماط تفكيره الجمعي، وقد تبين أن هذه الدلالات ليست مباشرة أو سطحية، بل كامنة في التنظيم الداخلي للعناصر البصرية، الأمر الذي يتطلب قراءة تحليلية تتجاوز الوصف الخارجي إلى تفكيك البنية الشكلية والدلالية للعمل.

كما خلص البحث إلى وجود علاقة تكاملية وثيقة بين القيم الجمالية والدلالات الحضارية، حيث يتداخل الشكل مع المعنى داخل العمل الخزفي بشكل يجعل الفصل بينهما أمرًا إجرائيًا فقط، وليس واقعًا فعليًا في بنية العمل؛ فكل قيمة جمالية تحمل في داخلها بعدًا ثقافيًا، وكل دلالة حضارية تتجسد عبر شكل بصري محدد، مما يجعل الخزف التراثي المحلي مجالًا خصبًا لقراءة الثقافة من خلال المادة البصرية.

وبناءً على ذلك، يوصي البحث بضرورة تعزيز الدراسات التحليلية المتخصصة في الفنون التطبيقية، ولا سيما الخزف التراثي المحلي، مع التركيز على المقاربات التي تربط بين التحليل الشكلي والدلالة الثقافية، لما لذلك من أهمية في توثيق التراث البصري وإعادة قراءته ضمن سياقات معاصرة،÷ كما يقترح البحث توسيع نطاق الدراسات المستقبلية لتشمل نماذج أكثر تنوعًا من البيئات المحلية المختلفة، بما يسهم في بناء رؤية أعمق وأكثر شمولية حول تطور القيم الجمالية في الخزف.

وفي الختام، يتضح أن الخزف التراثي المحلي يمثل أحد أهم الحقول البصرية التي تختزن الذاكرة الثقافية للمجتمعات، وتعيد إنتاجها في شكل مادي ملموس، الأمر الذي يمنحه قيمة مزدوجة تجمع بين الجمال والمعنى، وبين الفن والهوية، وتؤكد مكانته بوصفه أحد أهم الشواهد الحضارية القابلة للقراءة والتحليل.

قائمة المصادر المراجع:

أولًا: العربية

1- أبو كراع، فتحي الهادي عمر، (2024): إمكانية استخدام المواد الخام الليبية في إنتاج الخزف الراكو، مجلة علوم التربية، (2)15.

2- البوعيشي، نزهات، (2024): الرموز والزخارف في فن الخزفي الكوتاهي (دراسة جمالية وتحليلية)، مجلة بحوث الاتصال، كلية الإعلام، جامعة الزيتونة، العدد16، ص237، ليبيا.

3- البوعيشي، نزهات، (2024): الرموز والزخارف في فن الخزف الكوتاهي: دراسة جمالية وتحليلية، مجلة بحوث الاتصال، جامعة طرابلس، 8(2)، ص237–253.

4- الحصري، مصطفى سعيد محمد، (2022): القيم الجمالية والتشكيلية للطينات الورقية مدخل تجريبي لإثراء الخزف المعاصر، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية.

5- الحيآن، مبروكة إبراهيم، (2024): جماليات الخزف وعلاقته بالبيئة المحيطة، مجلة المختار للعلوم الاجتماعية، (1)39، ص266–288.

6- داود، ضياء الدين عبد الدايم عمر، (2021): القيم الجمالية في خزف جراجوس كنموذج لتنمية المشروعات الصغيرة، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، (2)6، ص1113-1125.

7- درويش، محمد محمد صلاح، (2016): القيم الجمالية والتعبيرية للمنحوتات الخزفية المعاصرة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، (2)82، ص753-789.

8- زديرة، نوال، (2020): القيم الجمالية للزخرفة المعمارية في الجزائر خلال العهد العثماني (924-1245هـ / 1518-1830م): جامع كتشاوة والجامع الجديد أنموذجًا، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد15، العدد51، ص5012-5030، الجزائر.

9- سرحان، فاروق نواف، (2019): الدلالات الجمالية والتعبيرية للون في الخزف المعاصر في العراق، مجلة كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد.

10- العمري، نورة سليمان، (2023): القيم الجمالية للأعمال الخزفية المعاصرة المستوحاة من الفن الإسلامي، مجلة الفنون والعلوم الإنسانية، (12)6، ص230-240.

11- فريسن، فوزي محمد، (2022)/ القيم الجمالية للموروث الشعبي في أعمال الفنان الليبي صلاح غيث: دراسة وصفية تحليلية في أسلوب ونمط أعمال الفنان صلاح غيث كقيم جمالية، مجلة الإعلام والفنون، السنة الثالثة، العدد التاسع، ص124، ليبيا.

12- مجيد، عدي عبد الحميد، (2022): القيم الجمالية لزخارف الخزف الإسلامية: خزفيات إزنيك أنموذجًا، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد، المجلد12، العدد21، ص442، العراق.

ثانيًا: الأجنبية

1- Cooper, E. (2000). *10,000 years of pottery*. University of Pennsylvania Press.

-2 Rice, P. M. (2015). *Pottery analysis: A sourcebook* (2nd ed.). University of Chicago Press.

-3 Rye, O. S. (1981). *Pottery technology: Principles and reconstruction*. Taraxacum.

-4 Freestone, I., & Gaimster, D. (Eds.). (1997). *Pottery in the making: World ceramic traditions*. British Museum Press.

-5 Grabar, O. (1992). *The mediation of ornament*. Princeton University Press.

-6 Chabanne, D., Aucouturier, M., Bouquillon, A., et al. (2011). Ceramics with metallic lustre decoration. *arXiv preprint*.

-7 Biagetti, S., & Di Lernia, S. (2004). Ceramic dispersion in southwestern Libya. *Journal of African Archaeology*.

-8 Swift, K. (2018). Ceramics, clays and classification in Cyrenaica. *Libyan Studies,* Cambridge University Press.

-9 Möller, H., Occari, V., Fenwick, C., & Quinn, P. (2025). Late antique African painted wares in North Africa. *Libyan Studies*.